المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فضاءً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ النهضة في ما يدرج فيهِ على اتحادهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق علو المطلة

مستقبل الصناعة عندنا

حضرة منشئي المقتطف الناضلين

ارى ممّا كتبتموهُ في المقتطف والمقطم انكم راغبون في عود الصناعة الى هذا القطر حاثّون عليهِ منتظرون منهُ انهيال الثروة على البلاد واني ارى جمهور الكتّاب الوطنيين يذهب هذا المذهب بل منهم مَن يتطرّف اكثر منكم ويحسب أنّ قد استُنزفت كل مصادر الثروة ولم يبقَ الاّ ان تطرق البلاد باب الصناعة. وقد قرأت لكم في احدى السنين الماضية قولاً تنسبونهُ الى علماء الاقتصاد مفادهُ انهُ لا ينتظر نجاح عملٍ في بلاد من البلدان ما لم تكن مستعدّة لهُ طبعاً وانهُ ليس من الحكمة ان تُناط الصناعة بالفلاّح والفلاحة بالصانع والتجارة بالامير والامارة بالتاجر ولا ان تُجعَل المدينة التجارية اطيانًا زراعيّة ولا الاطيان الزراعيّة مدينة تجارية بل ان ناموس تقسيم الاعمال يقضي علينا ان نبيط بكل واحد العمل الذي هو اهل لهُ اكثر من غيرهِ وان نخصص كل بلد بالاعمال التي تنجح فيهِ اكثر من غيرهِ. فاذا كان عمل الطبيب يستغرق كل وقتهِ فعلى مَ يضيع وقتهُ في الحياكة او التجارة واذا كان للقاضي عمل يستغرق كل وقتهِ فعلى مَ يضيع جانبًا منهُ بالفلاحة والسكافة واذا كان للفلاّح عمل يستغرق كل وقتهِ على مدار السنة كما عند فلاّح الوجه البحري من هذا القطر فلمَ يضيع جانبًا منهُ في التجارة والحدادة. واذا انزل الله شعبًا من الشعوب في ارض كثيرة المعادن وامكنهم ان يستخرجوا منها ما يبتاعون بهِ كل حاجيّاتهم وكمالياتهم فلمَ يتركون معادنها ويضربون الى الاقطار البعيدة يصيدون السمك ويعيشون من صيدهِ. واذا القاهم في جزيرة قاحلة ليس فيها من الخير الاّ السمك الكثير في اجوائها فلماذا يتركون صيد السمك وينصبون الشباك لقواطع

الطير وهي لا تقطع الى جزيرتهم الاَّ نادرًا . واذا انزلم في ارض خصبة يمكن زرعها واستغلالها سنةً بعد اخرى بل يمكن زرعها مرتين في العام ومن زراعتها ربح اكثر من ربح التجارة والصناعة ولو فاقتا تجارة الانكليز وصناعتهم فعلى مَ يتركونها وهم لا يكتفون لزراعتها كلها ويتوكأون على الصناعة وليس عندهم من معدّاتها شيءٌ يذكر

فلو كانت ارضنا قاحلة لا تزرَع الاَّ مرةً كل سنتين او ثلاث او لو كانت لا تستلزم ان يعمل فيها الاَّ بعض اهاليها او لو كانت ايام الشتاء طويلة باردة تُترَك الزراعة فيها كما في ممالك اوربا وكل البلدان الشماليَّة لوجب ان يعمل الفلاَّح بالصناعة ايام العطلة ولكننا نحن معاشر الفلاَّحين في الوجه البحري لا نرى على مدار السنة شهرًا خاليًا من العمل اذا خدمنا ارضنا جيدًا بل لا نرى عددًا كافيًا من الرجال لمساعدتنا على خدمة اراضينا وانا أؤكد لحضراتكم انهُ اذا شاعت الصناعة في ارياف الوجه البحري التزم كل الذين يتعاطونها ان يهملوا الزراعة ودليلي على ذلك ان في الوجه البحري نحو ثلاثة ملايين فدان والرجل الواحد لا يقدر ان يخدم اكثر من اربعة افدنة فيلزم لخدمتها سبع مئة وخمسون الف رجل وهؤلاء لا يوجدون الاَّ بين ثلاثة ملايين نفس على فرض ان رجال الفلاحة هم ربع الاهالي كلهم كبارًا وصغارًا ذكورًا واناثًا وليس في الوجه البحري كلهِ اذا استثنينا المحافظات والبنادر الكبيرة اكثر من ثلاثة ملايين نفس فاطيان الوجه البحري تقتضي لخدمتها كل رجال الوجه البحري ما عدا سكان المحافظات والبنادر وهم ليسوا بالعدد الكبير

اما اهالي البنادر والمحافظات فهم اهل صناعة وتجارة ولا بدَّ من ان يتقنوها بقدر ما يسمح المكان والمعدَّات لاننا لا ننتظر ان نبني سفنًا في وادي النيل ونحن ليس عندنا خشب كافٍ لطبخ طعامنا ولا ان نجلب الحديد من بلاد اسوج والفحم الحجري من بلاد الانكليز ونسبك وابورات سكة الحديد ونناظر بها فرنسا وبلجكا . وجهد ما نستطيعهُ ان نقوي التجارة المحليَّة والصنائع الصغيرة التي تغني البلاد عن مصنوعات غيرها

وربَّ معترض يقول ما هو الضرر من تحريك الهمم الى اتقان الصناعة وجوابي على ذلك انهُ يجب بتقديم الاهمّ على المهم وعندي ان الزراعة اهم واتقانها الزم واربح فيجب ان نصرف كل الهمة الى اتقانها اولاً وان تكون الصنائع خادمة لها هذا في الوجه البحري واما الوجه القبلي فاهاليهِ في سعة من الوقت ولا سيَّما حيث لم تشع الزراعة الصنفيَّة فيحسن ان تقوّى الصناعة فيهِ ولكنها مهما تقوّت تبقى قاصرة على الصنائع اليدوية لعدم وجود الوقود وعندي انهُ لو اتّسع نطاق الري حتَّى صارت تلك المديريات تروي اراضيها صيفًا لاستغنت

بالزراعة كالمديريات البحرية وذلك اوفر ربحًا لها فلاح مصري

المدارس والمعلمون

حضرة محرري المنتطف الفاضلين

ان موضوع المدارس والمعلمين قد كُتِبَ فيهِ ما يملاء مجلدات حتّى يصعب كتابة شيء جديد فيهِ الآن ولكن مَن تأمل في احوال المدارس الاوربيّة وما هي عليهِ من الاتقان وما عليهِ معلموها من المهارة في صناعتهم وقابل بينهم وبين مدارسنا ومعلميها لا يسعهُ الاّ ان يجد بينها فرقًا من الوجهين الآتيين

الاول الرياضة — لا شك ان الرياضة الجسدية غير مرعيّة عندنا كما يجب كأن لا اهميّة لها ولا فائدة الاّ تحويل انظار التلامذة من الدرس الى اللعب . والامر على الضد من ذلك في الممالك الاوربيّة واميركا فاننا نرى ان لكل مدرسة شهيرة ارضًا واسعة فيها جميع معدات الرياضة تخرج اليها التلامذة مدة معلومة من النهار فيتمرنون في جميع انواع الرياضة فتقوى اجسادهم وبالتالي تقوى عقولهم فقد قال المثل اللاتيني ان العقول السليمة تسكن الاجساد السليمة . ألا ترى ان تلامذة مدرستي اكسفورد وكامبردج الجامعتين يتسابقون كل عام في القوارب على نهر التامس ويكون للسابق منهم رنة في بلاد الانكليز بأسرها بل في غيرها من البلاد ايضًا هذا عدا عن الالعاب العديدة التي يتمرنون عليها كالركض والوثوب والسباحة وغير ذلك مما يزيد الاجسام نشاطًا والعقول نباهةً . وادخلْ الى احدى مدارس القاهرة او غيرها تَرَ التلامذة في الغالب صفر الالوان قليلي النشاط وسبب ذلك قلة الرياضة كأن العقول السليمة لا تسكن الاّ الاجساد السقيمة . قال اللورد تشارلس بارسفورد في مقالة لهُ عنوانها " عضلات الانكليز " في احدى المجلات العلميّة " ان قوّة الانكليز الجسدية وثقابة عقولهم وشجاعتهم واقدامهم وعزيمتهم ناشئة عن الالعاب التي يلتذ بها كل انكليزي . . . واني ارى انهُ ما من شيء يزيد صحة افراد الامة وقوتهم الاّ مساعدة الاولاد واصحاب الحرف والصنائع على التمرن والرياضة الجسدية فاذا اردنا الوصول الى درجة الكمال لزمنا ان نقرن تهذيب العقل بتمرين الجسد ولا ينكر ان الصحة الجسدية الناشئة عن الرياضة تزيد العقل ذكاء والمدارك حدةً " . وقالت جريدة اللانست وهي اشهر الجرائد الطبيّة الانكليزية " ان الالعاب لازمة لنظام كل مدرسة للاولاد ذوي البنية الاعتيادية ويقول اساتذة كثيرون ذوو شهرة انهُ يلزم لكل ولد

يريد ان يستفيد الفائدة المقصودة من التعليم المدرسي مقدارٌ معلوم من القوة الطبيعيَّة اه ومن طالع اخبار رجال السياحة وغيرهم الذين وقعوا في مخاطر مختلفة يرى انهم كثيرًا ما نجوا من تلك المخاطر لمهارتهم في الالعاب التي مارسوها في المدارس ومن هذا القبيل ما ذكر عن احد ضباط الجيش الانكليزي في حرب القرم انهُ أُخذ اسيرًا فسار بين اثنين من عساكر الروس وفيما هو سائر حدثتهُ نفسهُ بالهرب فاخذ يعدو عدوًا سريعًا وفيما هو كذلك لحقهُ احد عساكر القوزاق فطاردهُ ولكنهُ لم ييأس من الحياة بل ضاعف سرعة ركضهِ فصادف في طريقهِ سورًا فوثب من فوقهِ ولم يلبث طويلاً حتَّى وصل الى نهر عرضهُ سبع عشرة قدمًا فوثب من فوقهِ وتخطاهُ بوثبة واحدة وكان قد اعتاد على الركض والوثوب في المدرسة ولم يستطع مطاردهُ عبور النهر فوقف عن سيرهِ واما هو فاستمر الى ان وصل الى المعسكر الانكليزي فصاح بأعلى صوتهِ «هُرًّا لمدرسة ايتون» وهي المدرسة التي تربى فيها ببلاد الانكليز وتمرَّن على الرياضة الجسدية

هذا وفي كثير من المدارس العالية باروبا واميركا طريقة جديدة للتمرين والرياضة وهي تعليم التلامذة ساعة او ساعتين كل يوم على الحركات العسكرية فان لكل مدرسة ضابطًا من ضباط الجيش يرتهم عليها وعلى استعمال البنادق حتَّى يخال للرائي ان امامهُ جيشًا صغيرًا يتدرَّب في طرق القتال والحرب وما القصد من هذا الاَّ الرياضة وتعليم التلميذ الطاعة لرئيسهِ والانقياد لاوامرهِ فتنغرس فيهِ هاتان الصفتان الحميدتان منذ نعومة اظفارهِ فينشأ رجلاً قوي الجسم حاد الذهن حسن الخصال وما احسن ما قالهُ الدوك ولنتون الانكليزي الشهير الذي قهر نابوليون الاول في موقعة واترلو "اننا فزنا بمعركة واترلو في ساحة مدرسة ايتون" . اشارة الى ان الرياضة في مدرسة ايتون قوتهُ حتَّى فاز بمعركة واترلو

الثاني المعلمون — لا يخفى انهُ قد جرت العادة في الممالك المتمدنة ان لا يُصرَّح لاحد من ارباب الحرف والصنائع بتعاطي صناعتهِ ما لم تكن بيدهِ شهادة دالَّة على اقتدارهِ ومهارتهِ في حرفتهِ وأُطلق هذا القانون في بعض الممالك على معلمي المدارس كما أُطلق على غيرهم فاصبحوا غير قادرين على التدريس ما لم تكن بايديهم شهادات دالة على تضلعهم من اللغات والعلوم التي يريدون ان يعلموها . وهذا ليس بغريب فان كان سائق المركبة مثلاً يحظر عليهِ استعمال مركبتهِ وخيلهِ الاَّ باذن يُعطى لهُ بعد اختبار معرفتهِ في تدبير المركبة والخيل والاعتناء بها أفلا يجب بالاولى ان لا يصرَّح للمعلم بالتدريس الاَّ بعد اختبارهِ

وهو مؤتمن على اجساد التلامذة وعقولهم ليربيها ويهذبها ويرقي شأنها فان لم يكن على علم تام بصناعته غرس فيهم افكارًا غير صحيحة وعلمهم ما لا ينطبق على الحقيقة فيصيرون مثلة من حيث العلم . والوالدون لا يرسلون اولادهم الى المدارس الاَّ ليتربوا ويتهذبوا وتثقف عقولهم . وكذلك الصيادلة والاطباء وهم لا يؤذن لهم بتعاطي صناعتي الصيدلة والطب ما لم يمتحنوا الامتحان الكافي

ولا يخفى ان صناعة التعليم ليست باقل اهميَّة من صناعة الطب والصيدلة لان المعلم يؤتمن على تعليم الاولاد وعقولهم قابلة للتأثر بكل ما لا يؤثر فيها ولذلك وجب ان يكون تعليمهم على اساس متين ومبادئه صادقة صحيحة والاَّ نموا على اعوجاج واستصعب تغيير مبادئهم بعد ذلك وما احسن ما قيل

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا تلين متى صارت من الخشب

واساتذة المدارس الاميرية في بلادنا هذه يمتحنون قبل تعيينهم للتدريس فيها كما يمتحن سائر المترشحين لخدامات الحكومة فلا حاجة لان تكون بايديهم شهادات دالة على مهارتهم في اللغات والعلوم لان قبولهم في خدمة المدارس الاميرية دليل على كفاءتهم في صناعتهم فحبذا لو حذت حكومتنا السنيَّة (التي لا تألو جهدًا في نشر المعارف وتعميمها) حذو بعض الممالك الاروبيَّة في هذه المسألة فقرَّرت عدم جواز التدريس لاحد في غير مدارسها ما لم يكن بيده شهادة من نظارة المعارف الجليلة دالة على كونه كفوًا للتعليم بعد امتحانه امام لجنة من موظفيها او تكون بيده شهادة مدرسيَّة دالة على انه درس فيها درسًا قانونيًّا والاَّ فان تهافت كل من لقي معرفة بشيء من اللغات ومبادئ العلوم على التدريس ساءت حال المدارس الاهليَّة فضلاً المعلمون التلامذة بدلاً من ان يرشدوهم ويعلموهم

هذا ما تراءى لي لزوومه وسيأتي يوم نرى فيه مدارسنا الاهليَّة كاملة الترتيب والنظام كمدارس اوروبا واميركا لان مصر راقية مراقي التقدُّم في العلوم والمعارف في ظل الحضرة الخديوية ورجال حكومتها العظام احد المشتركين

تعلم قواعد اللغة العربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

تلمَّ في الجزء الثاني من مقتطفكم الاغر في الكلام على تقرير نظارة المعارف الجليلة انها اهتمت في تعليم اللغة العربيَّة على اسلوب جديد كثير التمرين ولم تبينوا ما هو هذا

الاسلوب ولكن يؤخذ من الغربة انكم تشيرون الى اعتمادها على الكتب التي أُلفت على اسلوب جديد في النحو والتصريف واطنبتم في مدحها فان كان الامر كما ذكرتَ فاسمعوا رعاكم الله قول عاجز يزجي بضاعتهُ

ان قواعد اللغة كقواعد الحساب والهندسة لا تقبل التغيير والتبديل ولا سيَّما لان العربيَّة الفصحى ثابتة على حالٍ واحدة فما كان من القواعد كافيًا في ايامنا وايام اجدادنا واجدادهم لاعراب اللغة ومعرفة صحيحها من فاسدها يجب ان يكفي ابناءنا وابناءهم . ولا اظن ان احدًا من المعاصرين او الآتين بعدهم سينوق علماءنا الذين قرأوا قواعد اللغة في ابن الحاجب وابن مالك . وان قيل ان الاعتراض على الكتب القديمة ليس هو من قِبَل عدم كفاءة قواعدها بل من قبل اعتياص معانيها وعدم بسطها وصعوبة اسلوبها فانها مغلقة على الطلبة الصغار فلا يدركون لها معنًى الاَّ بعد الشرح الطويل والزمن المديد . قلتُ ان هذه هي مزيتها ولولا هذه الصعوبة ما مارسها طلبة العلم ولا صارت لهم ملكة التعبير الصحيح وحسبي شاهدًا على ذلك ان الذين يدرسون لغة اجنبيَّة كالافرنسيَّة مثلاً لا يدرسون قواعد نحوها في كتاب عربي العبارة مع قرب مأخذهِ عليهم بل في كتاب فرنسوي العبارة مع تعسُّر ادراك معناهُ على المبتدىء باللغة الافرنسيَّة . فلو فرضنا ان التية ابن مالك وشرح ابن عقيل مغلقان على الوطني طالب النحو إغلاق الغراماطيق الفرنسوي وان كتاب النحو المؤلف حديثًا في القطر المصري او القطر الشامي قريب المأخذ مثل الغراماطيق الفرنسوي الموضوع باللغة العربيَّة لبقي درس قواعد العربيَّة في ابن مالك وابن عقيل اوفر فائدة من درسها في الكتب المحدثة بمقدار ما درسها في الغراماطيق الفرنسوي العبارة اوفر فائدةً من درسها في الغراماطيق العربي العبارة

ثم ان الذين كتبوا في موضوع التعليم من علماء الافرنج اوجبوا ان يؤخر درس قواعد اللغة الى ان يبلغ الطالب سن الرشد وحينئذٍ لا تغلق ابواب فهمها الاَّ على كل بليد لا يرجى انهُ يستفيد شيئًا قرُبت المعاني منهُ او بعدت . واما غيرهُ فيرى في الكتب المغلقة ميدانًا واسعًا لتمرين قواهُ العقليَّة . والفرق بين من يتعلم قواعد اللغة في كتب محكمة العبارة غير مبتذلة المعاني وبين من يتعلم في كتب بسيطة مبتذلة كالفرق بين من يترقَّى على المشاق والمتاعب وبين من يترقَّى على التنعم والترفُّه فان الاول يكون اقوى جسمًا واذكى عقلاً من الثاني

وقد خبرنا كتبنا القديمة والكتب المؤلفة على شاكلتها مدة الف سنة فتقفت لعلمائنا اقلامًا تصيغ الدرر من حروف المباني وتسكر النهى من حميَّا المعاني فبأيِّ شرْع نطلقها

بتاتًا اعتمادًا على رأيي ارتآهُ من رأى العربيَّة في كتب الاعاجم وقاس علوم اللغة بازياء النساء والوان المطاعم

ولست ممَّن ينتصر للقديم ويقول ليبقَ القديم على قدَمهِ فان كتب الطب والكيمياء والطبيعة وما جرى مجراها من العلوم التي تتغير باتساع المعارف يجب ان تتغير مع الزمان واما قواعد الحساب والمنطق والنحو وما اشبه فهي ممَّا لا يقبل التغيير والتحوير وقواعد النحو منها لا يمكن بذلها للاطفال وهم لا يستفيدون منها شيئًا لو بذلت لهم وادركوا معانيها . فان كان في رجالنا همَّة للتصنيف وعند حكومتنا مال لتنفق عليهِ فليبذلوا الهمَّة ولتنفق الاموال على تصنيف كتب في علوم جديدة كعلم الزراعة وعلم طبقات الارض او في علوم كثرت الاكتشافات فيها وتغيرت عن وضعها الاول كعلم الكيمياء وعلم الطبيعة . واما كتب قواعد اللغة فحسب ابنائنا ان يحصّلوا منها ما حصَّلهُ اباءهم واجدادهم . واني اخشى ان يزيد البسط في كتب النحو حتَّى تخرج من الفصاحة الى الركاكة فتربّي في ابنائنا ملكة نريد نزعها منهم وتكون النتيجة على عكس المطلوب . واذا كنت مخطئًا في شيء ممَّا ذكرت او مغضيًا عن امر يعكس القضايا التي اوردتُ فخبذا من يصلح خطائي فينال ثنائي

وحيثما كنا نسعى الى غرض فحبذا ناضل منَّا ومنضول

هذا واني لا اعترض على اسلوب المدارس الاميركية من حيث كثرة التمرين فانهُ لنعمَ الاسلوب انما اعترض على اهمال كتب النحو القديمة وابدالها بكتب كثيرة البسط والابتذال

احد القراء

لدينا رسالة من احد المشتركين يطلب فيها زيادة الايضاح عمَّا كتبناهُ في السنة السابعة عن الجبر العربي وعن حل احد المشتركين لمسئلة فلكيَّة . ولسوء الحظ لم نستطع ان نقرأ امضاء حضرة الكاتب فسألهُ ان يوضح لنا اسمهُ فلا نتأخر عن ادراج رسالتهِ والاجابة عليها